(٤) خطبة له ﷺ فى التوبة والمبادرة بالأعمال الصالحة

قال جابر بن عبد الله : سمعت رسول الله ﷺ يخطب على منبره، يقول :

«يا أيُّها الناسُ .. تُوبوا إلى ربِّكم قبلَ أن تموتوا ، وبَادِروا بالأعمالِ الصالحةِ قبلَ أن تُشْغلوا ، وصِلُوا الذى بينكم وبينَ رَبِّكم بكثرةِ ذِكْرِكم له، وكثرةِ الصَّدَقةِ فى السرِّ والعَلانية : تُرْزَقوا، وتُؤْجَروا، وتُنْصَروا، وتُحْمَدوا، وتُجْبَروا. واعْلَمُوا أنَّ الله قد افترضَ عليكُم الجُمعةَ فى مقامى هذا، فى يَومِى هذا، فى شَهرِى هذا، فى عَامِى هذا، إلى يومِ القيامةِ فريضةً مكتوبةً مَنْ وَجَدَ إليها سَبيلاً، فمنْ تَرَكَها فى حَياتى أو بعدَ مَماتى جُحوداً بها واسْتِخْفافاً بحقِّها وله إمامٌ عادلٌ أو جَائرٌ، فلا جَمَعَ اللهُ له شَمْلَه، ولا بَارَكَ لَهُ فى أمْرِه، ألاَ ولاَ صَلاةَ لَهُ، ألاَ ولاَ صَوْمَ لَهُ، ألاَ ولاَ وُضُوءَ لَهُ ، ألاَ ولاَ حجَّ له، ألاَ ولاَ صَدَقَةَ لَهُ، ألاَ ولاَ زَكَاةَ لَهُ، ألاَ ولاَ بِرَّ لَهُ؛ حتَّى يَتوب. مَنْ تابَ تابَ اللهُ عَليه ، ألاَ لاَ تَؤُمَّنَّ[1] امرأةٌ رَجُلاً، ولا يَؤُمَّ أعْرَابىٌّ

---

(١) بفتح الميم مع التشديد ، أى : لا تؤمَّه فى الصلاة .

مُهَاجِراً، ولا يَؤُمَّ فَاجِرٌ مؤمناً إلا أنْ يَقْهَرَهُ سُلطانٌ يَخَافُ سَيْفَهُ وسَوْطَه » .

(أخرجه ابن ماجه، والبيهقى، وفى سنده عبد الله بن محمد العدوى عن على بن يزيد بن جدعان، وهما ضعيفان)[1] .

فى هذه الخطبة الجامعة - كما قرأنا - وبعد أن أمر النبى ﷺ بالتوبة إلى الله تبارك وتعالى قبل الموت، والمبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن نشغل بتلك الأمور الدنيوية التى قد تكون سبباً كبيراً فى عدم تمكُّن الإنسان منَّا من أدائه لتلك الأعمال الصالحة على الوجه الأكمل، كما يأمر النبىَ ﷺ بضرورة أن نصل بيننا وبين الله تعالى بكثرة الذكر والصدقة فى السر والعلانية: حتى نفوز بتلك النتائج العظيمة، وهى أن نُرْزَقَ، ونُؤْجَرَ، ونُنْصَرَ، ونُحْمَدَ، ونُجْبَرَ .

بعد ذلك يركِّز الرسول ﷺ على موضوع مهم، وهو موضوع فريضة الجمعة محذراً من عدم أدائها .

وأحب هنا أن أذكِّرك ببعض الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع، فإليك:

* عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبى ﷺ قال لقوم يتخلَّفون عن الجمعة :

(١) وورد فى إعجاز القرآن ص١١٠ . وقال المنذرى فى الترغيب (ج٢ ص٣١) : ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث أبى سعيد الخدرى أخصر منه ، ورواه أبو يعلى بإسنادين عن جابر .

« لَقَدْ هَمَمْتُ أنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بالنَّاسِ، ثُمَّ أُحَرِّقَ عَلَى رِجَالٍ يتخلَّفون عن الجُمعةِ في بُيوتِهم » .

(رواه مسلم، والحاكم بإسناد على شرطهما)

وفي رواية أبي سعيد ﷺ :

« ومَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فَلْيَسْعَ إلى الجُمعةِ ، ومَنِ اسْتَغْنَى عَنْها بلَهْوٍ أو تِجَارةٍ اسْتَغْنَى اللهُ عنه والله غنيٌّ حَمِيدٌ » . .

(رواه الطبراني)

وعن أبي الجعد الضمري ـ وكانت له صحبة ﷺ ـ عن النبي ﷺ قال :

«مَنْ تَرَكَ ثلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً بِهَا طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ » .

(رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، والترمذي وحسَّنه، وابن ماجه، وابن خزيمة وابن حِبَّان في صحيحيهما، والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم) .

* وعن أبي قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ ، قال :

«مَنْ تَرَكَ الجُمُعَةَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ طَبَعَ اللهُ عَلَى قَلْبِهِ».

(رواه أحمد بإسناد حسن، والحاكم وقال : صحيح الإسناد)

* * *